الله وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد يهدي به من يشاء من عباده يعني يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه
وطاعته وخلع الاضداد والشركا ولو اشركوا يعني هولاء الذين سميناهم لحبط يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا يعملون
من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيا قوله عز وجل اولئك الذين اتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة يعني اولئك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتب لتنا نزلت عليهم واتيناهم العلم والفهم
وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف
المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب والحكم لانهما يدلان على النبوة فان يكفر بها هولا يعني فان يجحد بدلايل
التوحيد والنبوة كفار قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة
وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج
قال والدليل عليه قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجا العطاردي هم الملايكة وفيه بعد لان
اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل هم الفرس وقال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة
او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان
كلها وقد حصل ذلك فهو اخبار عن الغيب قوله تعالى اولئك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم
المخصوصون بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسنتهم اعمل واصل الاقتدا
في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذي امرهم ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله
تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما والصفات والافعال المرضية والصفات الرفيعة
الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امرهم ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل اخر فعلى هذا القول
يكون في الاية دليلا على ان شرع من قبلنا شرع لنا **فصل** احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم
فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابرهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب
من اصحاب الصبر على البلا والمحن وكان داود وسليمان عليهما السلام من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا
وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين
الحالتين يعني الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس
من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله
عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم والله اعلم وقوله تعالى قل
لا اسالكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من
جملة هداهم عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم عليه اجرا ان هو
يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني القران موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى
الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت الخلايق قوله عز وجل وما قدروا
الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما وصفوا
الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره يقال قدره
يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله
وما قدروا الله حق قدره يصح في جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي يعني من الذين قالوا

ما انزل

ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة
ثم اختلف العلما فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة
مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد ومحمد الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من
عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن
الزامهم نبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش
كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية
لا يليق بحال اليهود بان كفار قريش واليهود كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض
الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور
المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في
السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت
بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا القول فيمن نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير جا رجل الى اليهود
يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة
على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شي فقال
اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوي وفي التفسير ان
مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل التوراة على موسى فلم قلت
ما انزل الله على بشر من شي فقال مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير
الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي
وهو القايل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله
من السما كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به
موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظي جا ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم
الا تاتينا بكتاب من السما كما جا به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل الله يسالك ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية
التي في سورة النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا عيسى ولا
احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول اشكالا
ايضا وهو انه قال ان اليهود مقرين بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شي مع اعترافهم
بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله
عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى قل من انزل الكتاب الذي
جا به موسى اي قل يا محمد لهولا الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شي من انزل التوراة على موسى
وفي هذا الالزام توبيخ اليهود بسو جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر نورا وهدى للناس يعني التوراة ضيا
من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل عند دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير تجعلونه قراطيس يكتبونه في قراطيس
مقطعة تبدونها يعني القراطيس المكتوبة وتخفون كثيرا يعني وتخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم

Copyright © King Saud University